المبحث الثانى

أساليب مواجهة مشكلة الندرة

الفرع الأول

الإطار العام لمواجهة مشكلة الندرة

كما سبق الإشارة .. فإن الندرة لا تقع في مصادر الموارد الطبيعية في مجموعها ، أما ندرة السلع والخدمات في مقابل الحاجات عند مستوياتها الإنسانية المقبولة ، فيمكن اقتراح أبرز عوامل الحد منها .. بإيجاز فيما يلى:

١ ـ التعامل مع الطبيعة بثقة في وفرة مواردها وبأنها خلقت لراحة الإنسان وسعادته، واليقين بأنها مسخرة لإرادة الإنسان، ويمكن له أن يستثمرها وينمى مواردها ، وأن مصادر الموارد الطبيعية يمكن تحويل عناصر الاستفادة منها ببذل جهد منتج متحفز إلى تحقيق أقصى كفاية إنتاجية ممكنة.

٢ ـ رسم حدود المستويات المقبولة شرعياً واجتماعياً للحاجات الإنسانية، والفصل بين الضروري والتكميلي والترفى، بحيث تتحدد بناءاً على ذلك سياسة توجيه الاستثمارات القومية وأولويات الصناعات الإنتاجية بتخطيط مدروس، يحد به المجتمع من الاندفاع لحافز الربح لمجرد الربح، والذي يسعى أحياناً إلى إشباع حاجات الطبقة المترفة على حساب الحد من توجيه عوامل الإنتاج لتوفية حاجات الطبقات الفقيرة والمتوسطة، سعياً وراء ربح أعلى لمنتجات ترفية أغلى.

٣ ـ نظام توزيع عادل للدخل القومي، والنظام الإسلامي يحقق هذا الهدف بعدة أساليب، وذلك بالتنبيه إلى أداء أجر الكفاية ـ لا أجر الكفاف ـ للطبقة العاملة، ولا يعطى للطبقة الحاكمة الحق في الاستئثار بالثروة، ويحد من توجهات التبذير والإسراف والترف في الاستهلاك، ويعيد توزيع الثروة من خلال نظام الزكاة الذي ينبغى أن يكون ملزماً، وليس تطوعياً، ويحد من الصراع الطبقي والتطلعات الاجتماعية بنظام عادل للمواريث، يحقق الانتقال السلمي للثروة القومية.

٤ ـ تصحيح العلاقة التبادلية في اتفاقات التجارة الدولية، وتحقيق السعر العادل لكلا طرفي التعاقد دون استغلال.

٥ ـ الحد من التقليد التسويقي، والتطلعات الطبقية، وإعلاء قيمة الفضيلة والقيم في ممارسة الحياة، والحد من إعلاء شأن الغنى والترف، وخاصة في وسائل الإعلام.

٦ ـ العمل بالتشريع الإسلامى في المعاملات المالية والربط بين مقتضيات فقه المعاملات وأوجه التعامل المعاصر سواء على مستوى البنوك أو البورصات أو شركات التأمين أو شركات توظيف الأموال.

٧ ـ ضبط النفقات العامة في حدود الضرورات العامة والبعد عن الانفاق العام على الأمور المظهرية أو الترفية، وإحكام المتابعة التخطيطية للمعاملات وضبط الإصدار النقدى في الحدود التي تقلل من أثر التضخم أو الإنكماش.

٨ ـ مواجهة دورات الكساد الاقتصادي المعهودة في التاريخ الاقتصادي بالتخطيط العلمى المناسب ، الذي ينظم العلاقة بين دورة الرواج ودورة الكساد كما ضرب بذلك المثل في سورة يوسف.

٩ ـ مراجعة التصرفات الإيمانية، والتوجه إلى الله عز وجل بالضراعة والرجاء من خلال التوجهات الإيمانية المؤثرة في زيادة الموارد، وتجنب المخالفات الإيمانية التي قد تعجل بعقوبة الله سبحانه وتعالى بالابتلاء بنقص في الأموال والثمرات.

١٠ ـ دعوة الانسانية إلى منهج الإسلام وهدية الذي يضع الضوابط الأخلاقية والقيم السلوكية الحاكمة للنشاط الاقتصادى والتى تحفظ حقوق المتعاملين فيه، وتحقق العدالة وتحد من الأنانية المنحازة إلى تسلط الغرب على مقدرات الرزق لكثير من الشعوب.

١١ ـ تعميق البحث العلمى وتكريسه نحو أهداف التنمية الاقتصادية، وابتكار أساليب حديثة تحد من أزمة الندرة، وتضع الحلول البديلة لتحقيق أقصى استفادة ممكنة من مصادر الموارد القائمة، وتشكل البحوث الخاصة بالهندسة الوراثية للنباتات، والبحوث الجينية فتحا للإنسانية لتطوير غير محدود فى الموارد الاقتصادية.

١٢ ـ الأخذ بالادارة العلمية في تنظيم العمل الاقتصادي، والتخطيط الجيد في مواجهة الأزمات الاقتصادية، في حدود الضرورة العملية لمستوى التخطيط .. إما تخطيط كامل .. وإما تخطيط بالمؤشرات.

وفوق كل هذا وقبله .. فإن التطبيق الكامل للإسلام وشريعته في مختلف مناحى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والإعلامية، هو المقدمة الضرورية لمواجهة أزمة الندرة النسبية، حتى يصل المجتمع إلى ذلك العصر الذهبى الذي لم يكن في المجتمع أحد مستحق للزكاة كما شهد بذلك التاريخ لعصر خامس الخلفاء عمر بن عبدالعزيز ﷺ .

خلاصة الرأي حول الندرة :

الندرة النسبية تمثل مشكلة حقيقة وظاهرة اقتصادية واقعة، غير أن الندرة النسبية تنصب على السلع والخدمات المستغلة من الموارد فقط، أما الموارد الكونية في مجموعها فهى في وفرة متجددة، وإن نفد واحد منها تداعت مصادر بديلة أخرى تحفظ للإنسان إشباع منافعه.

والندرة النسبية عامل حفز وشحذ لهمة الإنسان كى يكد ويعمل ويجتهد ويبتكر، فيستثمر ملكاته الإنسانية التى بغيرها لا يجد معنى ولا قيمة للحياة.

وقد تأخذ شكل أزمة وقتية حادة نتيجة ابتلاء من الله عز وجل لحكمة يعلمها، أو لظلم أو كفر أو شيوع فساد في مجتمع ما .. كأن يكون هناك تسلط طبقي من بعض الفئات الاجتماعية ، التي تستأثر بأغلب عوائد الدخل القومي، وهنا تكون الأزمة بالدرجة الأولى مردها افتقاد العدالة في توزيع الدخل.

الفرع الثانى

التخطيط الاقتصادى فى مواجهة مشكلة الندرة

(النموذج القرآنى فى سورة يوسف)

على مدى التاريخ الإقتصادى .. كانت ولا تزال هناك دورات تتراوح بين الرواج والكساد، وخلال أزمات الكساد تكون مشكلة الندرة فى ذروتها.

وقد ضرب الله عز وجل مثلا عمليا لكيفية مواجهة الأزمات الاقتصادية على نحو معجز فى سورة يوسف ، من خلال تأويل سيدنا يوسف عليه السلام لرؤيا فرعون وإرشاده لكيفية تجاوز الأزمة المعبرة عنها.

وفى ما يلى ما جاء فى القرآن الكريم حول تلك الرؤيا وتأويلها:

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾[يوسف: ٤٣-٤٩].

وحول تفسير الرؤيا التى أشار بها سيدنا يوسف .. قال ابن كثير :

«تزرعون سبع سنين دأبا» أي يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات ففسر البقر بالسنين لأنها تثير الأرض التي تشتغل منها الثمرات والزروع وهن السنبلات الخضر ثم أرشدهم إلى ما يعتدونه في تلك السنين فقال:

﴿ فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾

أى مهما استغللتم في هذه السبع السنين الخصب فادخروه في سنبله ليكون أبقى له وأبعد عن إسراع الفساد إليه إلا المقدار الذي تأكلونه وليكن قليلاً قليلاً لا تسرفوا فيه.

وقد استحكمت الأزمة فى السنوات السبع العجاف، إلى حد أن عاماً واحداً من تلك السنوات، كان تحمله فوق طاقة قريش كلها حين دعا رسول الله ﷺ عليهم .. كما ثبت:

«عَنْ مسْرُوقٍ قَالَ كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّه فقَال إنَّ النَّبيَّ ﷺ لمَّا رَأَى منْ النَّاس إدْبَارًا قَال اللَّهُمَّ سبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ فأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حصَدتْ كُلَّ شيْءٍ حتَّى أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ والْجِيفَ ويَنْظُر أَحَدُهُمْ إلى السَّماءِ فيَرَى الدُّخان منْ الْجُوعِ فأَتَاهُ أَبُو سفْيانَ فقَالَ يا مُحَمَّدُ إنَّك تأْمُرُ بِطاعَةِ اللَّه وبِصِلَةِ الرَّحِمِ وَإنَّ قَوْمَك قدْ هلكُوا فادْعُ اللَّهَ لهُمْ» [البخارى]

وتحليل سيدنا يوسف لعناصر الأزمة لم يقتصر فيه على بيان مقتضى الرؤيا من حيث السنوات السبع المتمثلة فى السبع سنبلات أو البقرات ، وإنما تجاوز ذلك إلى بيان العام الذى يلى السنوات السبع الأخيرة فى قوله

﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ ﴾.

«وَهَذَا عامٌ لَمْ يَقَعْ السُّؤَالُ عَنْهُ ، فقيل ، إنَّ اللَّه زادهُ علْمًا علَى ما سأَلُوهُ عَنْهُ إظْهَارًا لفضْله وَإعْلامًا بمكَانه منْ الْعلْمِ ، ومَعْرفته . وقيل : أَدْرَكَ ذَلكَ بدَقَائق منْ تأْويلِ الرُّؤْيَا لا تَرْتَقي إلَيْها درَجَتُنَا . وَهَذَا صحيحٌ مُحْتَملٌ ، والأَوَّلُ أَظْهَرُ»[1].

❁ ❁ ❁

وتفصيلاً .. تتشكل عناصر دراسة تأويل سيدنا يوسف للرؤيا ، على المحاور التالية:

أولاً: مفهوم التخطيط وعناصره ومدى مشروعيته .

ثانياً: الدلالات اللغوية للكلمات التى تشكل مفاتيح حل الأزمة .

ثالثاً: عناصر تناسق الخطة التى أقرها سيدنا يوسف عليه السلام .

رابعاً: إدارة الأزمة .

خامساً: إحكام الرقابة على تفيذ الخطة .

❁ ❁ ❁

١) أحكام القرآن لابن العربى – دار الكتب العلمية – نقلا عن الوسيط الاليكترونى «جامع الفقه الإسلامى» إصدار ٣٠ر١ شركة حرف – عن الأمانة العامة للأوقاف الكويت والبنك الإسلامى للتنمية بجدة

أولاً: مفهوم التخطيط وعناصره ومدى مشروعيته والعلاقة بينه وبين منهج سيدنا يوسف:

١ ـ تعريف التخطيط :

«التخطيط بمفهومه العام ، إنما هو عبارة عن تحديد لمجموعة من الأهداف المتناسقة التى يراد بها تحقيق أولويات معينة، وخلال فترة زمنية محددة ، مع اختيار لمجموعة الوسائل والإجراءات اللازمة لتحويل هذه الأهداف إلى واقع»[١].

وبالتطبيق على الخطة التى وضعها سيدنا يوسف عليه السلام .. كان هناك هدف عام هو مواجهة أزمة القحط التى ستلحق بمصر .. والأهداف الفرعية المتناسقة التى تحقق هذا الهدف تمثلت فى .. زيادة الانتاج ورفع كفاءته .. الحد من الاستهلاك .. الادخار .. من خلال إدارة راشده.

التخطيط لا يتعارض مع تفويض الله بعلم الغيب:

العلم بالمستقبل من الأمور الغيبية التى ينبغى على المسلم أن يفوض العلم فيه إلى الله عز وجل وحده ، فلا يشترط عليه ولا يزعم التيقن به .. حيث قال جل شأنه:

﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[الجن: ٢٦].

والتخطيط لا يصادر إيمان المسلم بالغيب وتفويض أمر علمه لله عزوجل وحده دون سواه، وإنما هو محاولة تنبؤ مشروط بالمستقبل في حدود سابق التجارب والخبرة البشرية، فهو نوع من التحسب للمستقبل في حدود ما يملك البشر من أسباب إحصائية ومحاسبية ورياضية للتنبؤ، ولكن الخطأ الإدعاء الجازم بتأكيد تحقق نتائج التخطيط المسبق، والذي لم يتحقق له مثال واحد في التاريخ الاقتصادي لأي من دول العالم حتي الآن.

مع ملاحظة هامة .. أن تخطيط سيدنا يوسف كان مبنيا على توقعات يقينية بما فتح الله عز وجل عليه من تفسير الرؤيا .. ولا بأس من التأسى بسيدنا يوسف فى الأخذ بالتخطيط للمستقبل مع التنبه أن التخطيط البشرى يظل دائما فى دائرة التوقع المشروط.

٢ ـ الفروض اللازمة للتخطيط[٢]:

- إجراء مسح متكامل لمعرفة الواقع المراد تغييره
- التنبؤ العلمى لما يراد الوصول إليه من خلال منظور زمنى محدد

---

١) الدكتور/ مجيد مسعود – التخطيط للتقدم الاقتصادى والاجتماعى – سلسلة عالم المعرفة العدد رقم ٧٣ الصادر فى ربيع الأول/ ربيع الثانى سنة ١٤٠٤هـ – يناير سنه ١٩٨٤ م – ص ٧

٢) الدكتور / مجيد مسعود – المرجع السابق – ص ١٥.

• تواجد الكوادر المتخصصة

• التعبير عن كل هدف من أهداف الخطة بمقادير رقمية قابلة للتحقيق والمراجعة وتقويم الأداء.

وبتطبيق تلك الفروض على أسلوب سيدنا يوسف عليه السلام .. يمكن التحقق مما يلى:

كان سيدنا يوسف على معرفة تامة بالواقع المراد تغييره بحكم معايشته له ومعرفة أبعادها بعد أن استكمل إدراكه بها بالرؤيا الحق التى أولها بعلمه عن ربه .

التنبؤ العلمى كان قائما فى الرؤيا التى رآها سيدنا يوسف عليه السلام ، ولكن ليس بمعنى التوقع غير المؤكد على نحو ما يحدث مع عامة البشر ، ولكن على أساس متيقن بالرؤيا الحق، أما سوى ذلك فالتنبؤ البشرى دائما فيه هامش من عدم التيقن مهما بلغت الدقة فى القياس.

كان ترشيح سيدنا يوسف لنفسه لإدارة الأزمة مبعثه الحرص على حسن توجيه عناصر الخطة التى شرحها .. لأنها تقتضى إدارة عامة نزيهة وتتحلى بالفهم والمعرفة وهو ما عبر عنه فى قوله:

﴿ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[يوسف: ٥٥].

التعبير عن كل هدف من أهداف الخطة .. أوجزه سيدنا يوسف فى مراحل تأويله للرؤيا .. فالهدف الأول زيادة الإنتاج ..والثانى الحد من الاستهلاك .. والثالث .. الادخار .. والأخير تجاوز الأزمة فى سنة الرخاء المنتظرة بعد نهاية السنوات الأربعة عشر.

المشاركة ومركزية القرار :

كان من بين الشروط التى أشار اليها بعض علماء التخطيط .. لإنجاح الخطة مركزية القرار .. والمشاركة الجماهيرية فى صياغة القرارات التخطيطية.

وقد عبر البعض[1] عن ذلك بقوله «يتسم التخطيط للتقدم الاقتصادى والاجتماعى، بوجود مركز تتمركز فيه مسألة اتخاذ القرارات التخطيطية الرئيسية، وأن يكون له صفة الإلزام على كافة المستويات، وهنا تبرز ضرورة المشاركة الفعالة لأوسع الجماهير ومنظماتها فى صياغة القرارات التخطيطية».

وللتأكيد على أهمية المشاركة الجماعية .. فإن الخطة تتطلب وضع برنامج يعمل

---

١) الدكتور/ مجيد مسعود – المرجع السابق – ص ٢٠.

«يشارك فى تحضيره جميع العاملين فى الفروع الرئيسية ، فيكون محصلة عمل جماعى وتنفيذ ملزم لهؤلاء جميعاً، وهذا الالزام يعتبر صفة أساسية أخرى من صفات التخطيط الشامل»[1].

وقد تمثل مركز اتخاذ القرار فى شخصية سيدنا يوسف عليه السلام .. بدليل أن أخوته حين حضروا إليه كان هو الذى قرر أسلوب التعامل معه .

أما المشاركة فقد تجلى معناها فى التعبير القرآنى الذى جاء على لسان سيدنا يوسف بضمير الجمع .. حين قال:

﴿ تَزْرَعُونَ ﴾ .. ﴿ حَصَدتُّمْ ﴾ .. ﴿ فَذَرُوهُ ﴾..

﴿ مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾.. ﴿ تُحْصِنُونَ ﴾.

فالتعامل مع الأزمة فى كل مراحلها توجه به سيدنا يوسف إلى المجتمع بأسره ولم يخص القادة أو أصحاب القرار وحدهم .. وهذا تنبيه إلى المشاركة فى مرحلة التهيؤ لمواجهة الأزمة ، ثم المشاركة فى تنفيذها أيضاً.

❁ ❁ ❁

ثانياً: الدلالات اللغوية للكلمات التى تشكل مفاتيح حل الأزمة:

وتتمثل فى كلمات «دأب .. تحصنون» بحيث يظل استخلاص الحكمة الاقتصادية فى سياق الفهم اللغوى الصحيح على نحو ما أشارت إليه قواميس اللغة[2].

أ ـ التعريف بكلمة دأب فى القواميس اللغوية:

● **فى القاموس المحيط للفيروزآبادى**

دأب في عمله، كمنَع، دَأْباً، ويُحرّكُ، ودُؤوبا، بالضم: جدَّ وتعب، وأدْأبه.

والدَّأْبُ، أيضا ويُحرّكُ: الشَّأنُ، والعادةُ، والسَّوْقُ الشديدُ، والطَّرْدُ.

● **فى لسان العرب للعلامة ابن المنظور ـ بتصرف:**

دأب: الدَّأْبُ: العادة والـمُلازمة. يقال: ما زال ذلك دينك

---

١) الدكتور / مجيد مسعود – المرجع السابق – ص ٢٤.

٢) التعاريف اللغوية نقلا عن القواميس المثبته فى البرنامج اليكترونى المسمى «المحدث» الصادر عن مجلة PC Magazine الطبعة العربية عدد نوفمبر ١٩٩٩م.

دَأَبَ فلانٌ في عَمَلِه أَي جدَّ وتَعِبَ، يَدْأَبُ دَأْباً ودأباً ودُؤُوباً، فهو دَئِبٌ؛

وأَدْأَبَ الرجلُ الدَّابَّة إِدْآباً إِذا أَتْعَبَها، والفعلُ اللازم دَأَبَتِ الناقَةُ تَدْأَبُ دُؤُوباً، ورجلٌ دَؤُوبٌ على الشيءِ. وفي حديث البعيرِ الذي سَجَدَ له، صلى الله عليه وسلم، فقال لصاحبه: إِنه يَشْكو إِليَّ أَنَّكَ تُجيعُه وتُدْئِبُه أَي تَكُدُّه وتُتْعِبُه؛

الأَزهري: قال الزجاج في قوله تعالى: كَدَأْبِ آل فِرْعون؛ أَي كشأْنِ آل فِرْعون، وكأَمْرِ آل فِرْعون؛ كذا قال أَهل اللغة. قال الأَزهري: والقولُ عندي فيه، والله أَعلم، أَن دَأْبَ ههنا اجتهادهم في كُفْرِهم، وتَظاهُرُهُم على النبي ﷺ ، كتَظَاهُرِ آلِ فرعون على موسى عليه السلام.

يقال دَأَبْتُ أَدْأَبُ دَأْباً ودَأَباً ودُؤُوباً إِذا اجتهدت في الشيءِ.

والدائِبان: الليلُ والنهارُ.

* مختار الصحاح الإصدار ١,٠٣

[دأب] د أ ب: دَأَبَ في عمله جد وتعب وبابه قطع وخضع فهو دَائِبٌ بالألف لا غير

و الدَّائِبانِ الليل والنهار و الدَّأْبُ بسكون الهمزة العادة والشأن

* فى النهاية فى غريب الحديث – للإمام ابن الأثير

﴿دأب﴾ *فيه «عليكم بقيام الليل فإنه دَأْبُ الصالحين قَبْلَكم » الدَأْبُ: العادةُ والشَّأنُ، وقد يُحرَّك،

وأصله من دَأب في العملِ إِذا جدَّ وتَعب، إِلاَّ أَنّ العرب حَوَّلَت معناه إِلى العادةِ والشأنِ.

● فى مفردات ألفاظ القرآن للأصفهانى

دأب

- الدأب: إدامة السير، دأب في السير دأبا. قال تعالى:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ﴾ [إبراهيم/٣٣]،

والدأب: العادة المستمرة دائما على حالة، قال تعالى:

﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ [آل عمران/١١]،

أي: كعادتهم التي يستمرون عليها.

والخلاصة :

أن كلمة دأب عرفتها القواميس اللغوية على معنيين :

- دأب بمعنى جهد وتعب
- دأب بمعنى الشأن والعادة التى يستمر عليها

والمعنى الأول أقرب إلى تأويل الكلمة من الوجهة الاقتصادية ، لأن المطلوب ليس مجرد العمل على سبيل العادة، وإنما التعب وبذل الجهد فى الإنتاج ، أو بالتعبير الاقتصادي زيادة الإنتاج ورفع الكفاءة الإنتاجية.

ب ـ التعريف بكلمة تحصنون فى القواميس اللغوية:

- فى القاموس المحيط للفيروزآبادى

حَصُنَ، ككَرُمَ: مَنُعَ، فهو حَصِينٌ وأحْصَنَهُ وحَصَّنَهُ.

والحِصْنُ، بالكسر: كلُّ مَوْضِعٍ حَصِينٍ لا يُوصَلُ إلى جَوْفِهِ

ودِرْعٌ حَصِينٌ وحَصِينَةٌ: مُحْكَمَةٌ.

وامرأةٌ حَصانٌ، كسَحابٍ: عَفِيفَةٌ، أو مُتَزَوِّجَةٌ

ورَجُلٌ مُحْصَنٌ، كمُكْرَمٍ،

ج: ككُتُبٍ.

- مفردات ألفاظ القرآن للأصفهان

ـ الحصن جمعه حصون، قال الله تعالى:

﴿ مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر/٢]،

وقوله عز وجل:

﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ ﴾ [الحشر/١٤] ..

تحصن: إذا اتخذ الحصن مسكنا، ثم يتجوز به في كل تحرز، ومنه: درع حصينة؛ لكونها حصنا للبدن وفرس حصان: لكونه حصنا لراكبه،

وقوله تعالى:

﴿ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾ [يوسف/٤٨]،

أي: تحرزون في المواضع الحصينة الجارية مجرى الحصن

وقد توافق تفسير الطبرى مع التفسير اللغوى للكلمة ، فجاء فيه :

إلا قليلا مما تحصنون ، يقول: إلا يسيرا مما تحرزونه . والإحصان: التصيير في الحصن وإنما المراد منه: الإحراز .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

عن قتادة:

﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ﴾ وهن الجدوب ،

﴿ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾: مما تدخرون

عن ابن عباس ، في قوله:

﴿إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾ يقول: تخزنون

عن السدي:

﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴾ قال: مما ترفعون

وهذه الأقوال في قوله:

﴿تُحْصِنُونَ ﴾

وإن اختلفت ألفاظ قائليها فيه ، فإن معانيها متقاربة ، وأصل الكلمة وتأويلها على ما بينت.

والخلاصة:

أن كل من المعنى اللغوى والتفسير القرآنى للكلمة اتفقا على معنىالإحراز والتخزين وهو المعنى الذى يتفق مع التعبير الاقتصادى «الادخار».

۞ ۞ ۞

جـ ـ الدلالة اللغوية المعبرة عن الحد من الإستهلاك :

مما يسترعى النظر .. أن الاستهلاك حصره سيدنا يوسف عليه السلام فى حدود أمس الضرورات الاقتصادية وهى الطعام ، وطالب بالحد من استهلاك الطعام عند حدوده الدنيا. بقوله «مما تأكلون».

وفى ذلك يقول الإمام الطبرى فى تفسيره «وقوله:

﴿ فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾

وهذا مشورة أشار بها نبي الله ﷺ على القوم ، ورأي رآه لهم صلاحا يأمرهم باستبقاء طعامهم».

ثالثاً: عناصر تناسق الخطة التى أقرها سيدنا يوسف عليه السلام :

على المستوى العام فإن «تحقيق التقدم الاقتصادى والاجتماعى المستمر على وتيرة عالية يتطلب شرطا ضروريا وهو إيجاد النسب السليمة بين مختلف فروع الاقتصاد الوطنى وبين فروع الانتاج المادى وبين الانتاج والاستهلاك وبين الاستهلاك والادخار للتراكم الاستثمارى وبين الإنتاج والانشاءات الضرورية»[1].

ويمكن تلخيص العلاقات الهيكلية المتبادلة بين مقومات النظام الاقتصادى على النحو التالى :

- العلاقة بين الإنتاج والاستهلاك
- العلاقة بين التصدير والاستيراد
- العلاقة بين الادخار والاستثمار
- العلاقة بين الإيرادات والمصروفات فى الموازنة العامة للدولة

تلك العلاقات تعكس توازناتها الفنية ـ وليست الحسابية ـ مدى النجاح الاقتصادى فى المجتمع، فإن وقع خلل ناجم عن سوء إدارة أو وقوع كارثة، أدى ذلك إلى بطالة كبيرة فى كثير من القطاعات الإنتاجية.

والمتابعة الناجحة للخطة تقوم على اساس ملاحقة تطرف العلاقات التبادلية بين تلك العناصر، للحد من تسرب المدخرات خارج سوق الاستثمار .. وغير ذلك.

والخطة التى أوردها سيدنا يوسف عليه السلام ، تبين العلاقات التبادلية بين الإنتاج والاستهلاك والادخار .. وتتقرر النسب المتبادلة بينها فى حدود الظروف الواقعية المحيطة بتنفيذ الخطة.

---

١) الدكتور / مجيد مسعود – المرجع السابق – ص ٢١

والحرص على الإبقاء على المحصول فى صورته العينية تؤكد التوجه نحو المحافظة على التناسب بين الانتاج من جانب والاستهلاك والادخار من جانب آخر، حيث أن المظهر العينى للمحصول يصعب معه التصرف خارج إطار الخطة لسهولة حصره والسيطرة عليه .

رابعاً: إحكام الرقابة على تنفيذ الخطة :

كما أشير من قبل ، فإن طلب سيدنا يوسف أن يظل الحصاد «فى سنبله» باستثناء ما يتم استهلاكه فى الطعام ساعد على المتابعة العينية للمحاصيل من حيث العلاقة بين الانتاج فى مواجهة الاستهلاك والادخار.

وسهولة الحصر ودقة المتابعة للمحصول وهو فى هيئته العينية ، حيث أن تحويل قيمته إلى نقود يؤدى إلى :

- تهريبها خارج حدود الدولة
- حجبها عن التداول
- التكاسل عن الأداء والعمل حيث يستغنى البعض بالمدخرات عن العمل.

والخلاصة :

أن تأويل سيدنا يوسف عليه السلام للرؤيا تحددت معالمه الاقتصادية على النحو التالى:

١ ـ زياد الموارد خلال دورة الرواج الاقتصادي ورفع الكفاءة الإنتاجية .. كما يستدل عليها بكلمة «دأبا».

٢ ـ الحد من الاستهلاك .. كما يستدل عليه بتعبير «إلا قليلا مما تأكلون».

بالاضافة إلى التركيزعلى الانتاج الضرورى من المزروعات الحقلية ذات السنابل وعدم الاشارة إلى المنتجات الزراعية الأخرى.

٣ ـ الإدخار .. كما يستدل عليه بتعبير «مما تحصنون».

٤ـ الإدارة الرشيدة للأزمة من خلال قيادة أمينة واعية.